المحاضرة السادسة

فنون أدب الطفل: القصة وأنواعها

1- تعريف القصة:

القصّة مصطلح فنّي أساسه التعبير عن تجربة إنسانية، في شكل حكاية بلغة تصويرية مؤثّرة، وإضافة لفظ (الأطفال) لتصبح (قصّة الأطفال) "ليس رخصة لإعفاء مفهومها من شروطها، أو تفريغها من محتواها، فالأدب ينبغي أن يبقى أدبا، والقصّة ينبغي أن تظلّ قصّة، سواء كانا موجّهين للكبار أو الصّغار، بيد أنّ الشرط الإضافي المفهوم من ذكر (الأطفال) هو بمثابة قيد زائد، يلزِمنا بالتّدقيق والمراجعة...لأنّنا نقدّم هذه المادة إلى عناصر(أطفال) غير قادرة على حماية نفسها، ولا تملك وسائل التمييز أو النّقد، بل تتقبّل كل ما يقدّم إليها"[1] وتوصف القصّة بأنّها فن أدبي لغوي يصور حكاية تعبّر عن فكرة محددة عبر أحداث في زمان، أو أزمنة معينة، وشخصيات تتحرك في مكان أو أكثر، وتتضمّن قيماً مختلفة، تُروى بأسلوب فني خاص.

تعتبر القصة من أحبّ ألوان الأدب للأطفال ومن أقربها إلى نفوسهم وهذا الفن له قواعد وأصول ومقومات وعناصر فنّية، وبذلك فهي تحتل المقام الأول في أدب الأطفال "فهم يميلون إليها، ويستمتعون بها سواء كانت مسموعة أو مقروءة، وتجذبهم شخصياتها وحوادثها التي تثير مشاعرهم وتدغدغ خيالاتهم، وتؤثّر في اتّجاهاتهم وتصرّفاتهم، عن طريق الأفكار التي تطرحها والمواضيع التي تعالجها، ضمن أسلوب يتناسب مع مداركهم وقدراتهم العقلية والنّفسية واللّغوية"[2] والحكي هو أساس تكوين القصّة الأول، باستخدام التّشويق كسلاح لمحاربة الشّرود، وشدّ الانتباه.

وللقصة دور أساسي في نمو السلوك الإبداعي لدى الطفل بأفكارها المثيرة للخيال والابتكار، والتنفيس عن الانفعالات ومشاركة الآخرين بالحكي أو الاستماع، وهي وسيط اتصالي "ووسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال، سواء كان ذلك قيما دينية أو أخلاقية، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية، توجيهات سلوكية أو اجتماعية"[3].

---

[1]- محمد حسن عبدالله: قصص الأطفال ومسرحهم، (د، ط)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص:20.

[2]- عيسى الشماس: القصّة الطّفلية في سوريا (د، ط) منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1996، ص:33.

[3]- يعقوب الشاروني: تنمية عادة القراءة عند الأطفال (د، ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص: 29.

2- عناصر القصّة:

نوجز عناصر قصّـة الأطفال في الآتي:

أ- الفكرة:

وهي أهم جزء في القصّة من البداية حتى النهاية "فأحداثها تمضي وتتفاعل، والشخصيات تتحرّك وتتكلّم وكأنهم يمارسون حياة حقيقية، لكنّ الحدث لا ينطلق عشوائيا، والشّخصيات لا تتصرّف ارتجالا أو اعتباطا، فوراء كل حركة وسكتة في القصّة هدفا أو تعبيرا عن معنى...عن فكرة، عن موضوع، والتّوازن الفني بين الشكل والموضوع دقيق الحساسية... فالفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفنّي للقصّة"[1]، ونضيف إلى ذلك أن الفكرة تشكّل مصدرا مهمّا من مصادر الإعجاب أثناء مطالعة أو سماع الأطفال للقصة، فقد لا تتحدّد الملامح المميزة لكيان القصة إلا باستكمال عنصر الفكرة الذي يُشترط فيها القيمة المفيدة، ومناسبتها لمدارك الأطفال في ارتباط وشيج بحياتهم وعواطفهم، فضلا عن خلوها من المثالية المفرطة، وتجميل الشّر، والّا تتضمّن موضوعات العنف والقسوة.

إنّ حسن اختيار الفكرة في القصة الموجهة للأطفال"يمثّل الخطوة الأولى في طريق وضع قصّة ناجحة...واختيار الفكرة الموفقة يعتبر من وجهة نظر القاص بمثابة العثور على مفتاح الكنز، وما عليه بعد هذا إلّا أن يفتح بابه وينتقي منه ما شاء من درّ وجوهر، وتحف عجيبة نادرة، ثمّ يحسن عرضها بأسلوب شائق يستحوذ على الألباب"[2]، غير أنّه من الضروري لابدّ أن تخلو قصص الأطفال من الأفكار القاسية، التي تتضمّن التّوجّع، والتّحسّر، والتّشاؤم، وصور التّعذيب والتّرهيب.

ب- الأحداث:

تعدُّ الأحداث بمثابة الخلفية التي تنبثق عنها الأفكار وتصوَّر الشخصيات، والحدث الفنّي هو مجموع الوقائع المتسلسلة والمترابطة، التي تدور حول أفكار القصة في إطار فنيّ محكم "وتؤلِّف حوادث القصة جزءاً من النسيج البنائي لها، في شكل متسلسل ومتناسق ومنساب، ويترابط دون افتعال أو حشو لتتكامل معاً، وتأزّم مشكلة أو عقدة، يجد الأطفال

---

[1]- محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للطفل، (د، ط)، مؤسسة حورس الدّولية، الإسكندرية، 2000، ص:38.

[2]- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص. ص:75،76.

أنفسهم إزاءها في شوقٍ للوقوف على الحل"[1]. وتتّسم الأحداث بالوضوح والحركة الحيَّة والتفاعل، وأن تكون الأماكن التي يجري فيها مألوفة للطّفل.

ج- الحبكة:

وهي فنٌّ ترتيب الأحداث وتطويرها، وأسلوب عرض الوقائع والشخصيات في تسلسل طبيعي ومنطقي؛ بحيث تكون مترابطة ارتباطاً منطقياً، يجعلها وحدة متماسكة الأجزاء "وتمثل الحبكة في القصة قمَّة؛ تنمو فيها الفكرة والحوادث والوقائع الأخرى، وتتحرَّك الشخصيات، مؤلِّفة خيطاً غير منظور، يمسك بنسيج القصة وبنائها مما يدفع الطّفل إلى متابعة قراءتها، أو الاستماع إليها؛ لأن ذلك الخيط يستلزم تفكيراً أو تخيّلاً أو تذكُّراً، أو يستلزم هذه كلها"[2] ويشترط في الحبكة أن تكون محكمة، قائمة على حوادث ومواقف مترابطة، وشخصيات قريبة من واقع الطّفل.

د- الشخصيات:

عنصر أساس في بناء القصّة، وشرطٌ رئيس من شروط نجاحها، إذ تقوم بالأحداث في القصـة، ومن مزاياها جذب الطّفل، بحكم طبيعته المولعة باستكشاف الشخصيات وتقليدها، ولما تتيحه من إرضاء لنوازعه "والطّفل بحاجة إلى أن يرى الشّخصية أمامه حيّة مجسّمة، وأن يسمعها تتكلّم بصدق وحرارة وإخلاص، فيرى فيها صدق الحقيقة وحرارة الحياة، وإذا تمّ له التّعرّف عليها، وفهمها، والاقتناع بها، كان هذا هو المدخل الأول نحو تحقيق نوع من التّعاطف بينه وبينها، مما يخلق جواً انفعاليا مساعدا يخطو بالقصّة خطوات واعدة نحو النّجاح"[3] وهذا الجو الانفعالي إزاء الشّخصيات قد يكون تعلّقاً، أو نفوراً، أو عطفاً، وقد يصل الأمر بالأطفال إلى التقمُّص الوجداني مع الأبطال فيحزنون لحزنهم، ويفرحون لفرحهم.

ومن مميزات الشخصيات أن تكون مألوفة للطفل وقادرة على الإقناع والتأثير، ومشبّعة بالقيم الإنسانية العليا، ودالّة على قيم أخلاقية واضحة، وقليلة العدد، ومهمة القاص هنا "تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث. وهذا أمر يتيسر له،

---

[1]- هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، 1988، ص:173.

[2]- المرجع نفسه، ص:173.

[3]- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص:80.

إذا استطاع أن يصور الشخصيات في حياتها الطبيعية الخاصة"[1].

هـ- بيئتَا الزمان والمكان:

البيئة هي الوسط الطّبيعي التي تجري في إطاره أحداث القصة، وتتحرك فيه شخصياتها، وبيئة الزمان والمكان نقصد بها الإجابة عن السّؤال: متى وأين حدثت وقائع القصة؟ فالمكان شيء أساسي ومحوري في قصّة الطّفل، ولابدّ من تحديد أبعاده في بداية القصّة، ولابدّ للإجابة عن السؤال: أين...؟ حتى لا تنعدم القصّة أصلا، أمّا الزمان فهو فترة معيّنة تتراوح بين الطّول والقصر حسب طبيعة الأحداث، فقد تمتدّ لقرون، وقد تقصر ليوم أو دون ذلك وهنا وجب التّدرج في تقديم الزمن للطفل حسب مراحل تطوره الإدراكي؛ لأنه قد يفرّق بين الليل والنّهار، ويسمّي أيام الأسبوع في مرحلة معيّنة وفيها يجهل الامتداد السحيق للعصور لاختلاف البيئة ومكوّناتها.

و- الأسلوب واللغة:

الأسلوب هو البناء الفني الذي يعبّر عن فكرة القصة وحوادثها وشخصياتها، بكل سلاسة ورصانة وجمال. وأهم ميِّزاته على الإطلاق هو التشويق، أو المقدرة على إثارة التفاعل الفكري للطفل، طوال زمن القصة، إذ يعدُّ المحكّ لقدرات الكاتب في هذا المجال. ويتحقق التشويق من خلال أمور عدّة تطال كلّ عناصر القصة ومقوِّماتها، وأهمها: الإحكام والوضوح والجمالية، والتنويع في مشاهد الدهشة، وحسن استخدام اللغة والخيال والصور الفنية. ولا يتوقف التشويق على ذلك، إنما يمتدُّ إلى النواحي الشكلية في القصة.

إن الأسلوب في القصة الموجهة للطفل يعكس حبكتها وخلفية شخصياتها "ومعالجة الموضوع دون مقدمات طويلة وصفية أو خلاصات تتميز بالوعظ والإرشاد، فمن الأفضل أن تعرض القيم بشكل غير ظاهر"[2] لجعل الأطفال يستخلصونها بأنفسهم من خلال الأحداث، للبرهنة على تفاعلهم مع القصة وكاتبها، وهذا هو الأسلوب المحبّب لهم، مع مراعاة القصر والاقتصاد في اللغة، واستعمال الفصيح منها دون أخطاء، والتقليل من التقديم والتأخير، واستخدام المجازات والكنايات التي يفهمها الطفل حسب مرحلته العمرية وما يلائمها من قصص.

وأشير هنا إلى أن كاتب قصة الأطفال عليه أن يستعين بالرسومات والصور وأنماط

---

[1]- محمد يوسف نجم: فن القصة (د، ط) دار بيروت، بيروت، 1955، ص:07.

[2]- محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص:134.

الخطوط بما يناسب الأطفال ويقرب الأبعاد الخيالية إلي أذهانهم، فضلا عن استعمال واستغلال الوسائط التكنولوجية الحديثة؛ لتشجيع القراءة والمطالعة.

3- أنواع القصّة:

تتنوّع قصص الأطفال وتتعدّد إلى درجة يصعب حصرها خارج التقسيم الأكاديمي الذي يعتمد على المدّة الزمنية والذي لا يتجاوز الأنواع الأربعة المعروفة: الرواية، القصّة، القصّة القصيرة، والأقصوصة، ولعلّ النّوع الثالث هو الذي يهمّنا في أدب الأطفال، والتقسيم سيكون داخله بالنّظر إلى المضمون العام في الآتي:

أ- القصص الدّيني:

ويتناول موضوعات دينية، مثل العبادات والعقائد، والقصص القرآني، وسير الأنبياء، المناسبة لمدارك الأطفال ومستويات نضجهم؛ بهدف بناء الشخصية الإسلامية ذات المبادئ والتعاليم السمحة، وغرس القيم والأخلاق الرفيعة.

ب- قصص المغامرات:

وهي قصص عادة ما يكون أبطالها شخصيات خيّرة، تتضمّن قيما تربوية مرغوبة.

ج- القصص الخيالي:

موضوعه في الغالب حيوانات ومخلوقات ذات شكل غريب، تعتمد على الخوارق بهدف تكوين قيم رفيعة، ويجب مراعاة مضمون قصص الخيال الوافدة عن طريق التّرجمة أو بلغتها الأصلية ففيها السّمين والغثّ. وفي هذا النوع يرجح الخيال على الواقع، ولذا يجب الابتعاد بالمضمون عن مشاكل الإنسان اليومية، إلى عوالم ترفيهية متنوعة يحبها الطفل.

د- القصص العلمي:

يدور حول الاختراعات والاكتشافات في عصر معيّن، وتوظيف منجزات العلم، مع اختلاف البيئات حسب الموضوع العلمي المعالج فيها. ويسعى القصص العلمي إلى تنمية خيال الطفل تنمية إيجابية، بنشر الحقائق العلمية وشرح جوانبها وأهدافها، ودفع الطفل إلى التفكير العقلاني المعرفي؛ بإثراء المعارف العلمية لديه، وتنمية قدراته العقلية[1].

هـ- القصص التاريخي:

نوع قصصي يعتمد على الأحداث التاريخية في شكل طرائف شرقية وغربية، تكشف ثقافة الشعوب كقصص الرّحالة والأبطال والمشاهير. وينبغي في هذا النوع تقريب مفهومي

[1]- ينظر المحاضرة الثامنة.

الزمان والمكان، وتبسيط الأحداث بأسلوب شائق يساعد على تقبلها من قبل الطفل، وتجاوز جفاف المادة التاريخية بالتماس لذة الأسلوب.

و- القصص الاجتماعي:

يتناول الأسرة وروابطها، والعلاقات الاجتماعية، والمناسبات المختلفة، ومظاهر الحياة في البيئة الطّفلية.

4- أهداف القصّة الموجهة للأطفال:

القصّة وسيلة فعّالة من وسائل التّربية الحديثة؛ لأنّها تحقّق أهدافا كثيرة نذكر منها[1]:

- تمرّن الطّفل على التّعبير وتبعث فيه الرّغبة في القراءة والاطّلاع.
- تثير خيال الطّفل، وتربّي وجدانه، وتعوّده حسن الفهم والاستماع.
- تمدّه بالمعلومات والأفكار، وتزيد من خبراته ومعرفته بالعالم من حوله.
- تنمّي مداركه، وتشحذ عقله وفكره بما تحتوي عليه من حوار ومناقشة، وحيل وخطط، وقضايا وأهداف ظاهرة ومستترة.
- تنمّي ثروته اللّغوية، وتساعد على نموه اللّغوي بشكل عام بما تحتوي عليه من مفردات جديدة وعبارات جيّدة قد يحفظ بعضها. كما تخلق فيه قيمة صحبة الكتاب.

ويمكن تصور أهداف أخرى وفق الآتي[2]:

- إثارة انبهار الاطفال والترفيه عنهم وإسعادهم، وهذا الانبهار يؤدي دون شك إلى إثارة ذكاء الطفل وتذوقه للجمال الذي يزكي فيه حب الاستطلاع والكشف عن التوافق الروحي والنفسي، ولهذا فالقصة باعتبارها عملا فنيا تهدف إلى المتعة والترفيه أولا ثم التثقيف ثانيا.
- ينبغي على الراوي أن يأخذ في اعتباره متابعة مظاهر السعادة والحزن والقلق والتأسف والفرح التي تبدو وتتوالى على وجوه المستمعين. فالقصة وسيلة للتنفيس عن رغبات الأطفال المكبوتة.
- تعتبر القصة وسيلة هامة لتدعيم الثقة المتبادلة بين الراوي والأطفال.

كما أنّ القصة تعتبر دواء معالجا لمشكلات الطفل الاجتماعية، والنفسية، والسلوكية من خلال الأحداث التي تطرحها. ومن خلال تسلسل أفكارها يتعلم الطفل التفكير المنطقي، فيكتشف نفسه، ويبني علاقاته الإيجابية مع الآخرين.

---

[1]- محمد إبراهيم الخطيب: مناهج اللغة العربية، ط1، مؤسسة الورّاق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص:315.

[2]- محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للأطفال ، ص: 22.